

أحاديث رمضان ١٤٢٦ هـ - الفوائد - الدرس (١٧-٣٦) : أنواع الجمال

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-١٠-٢٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، مع حكمة جديدة من حكم كتاب الفوائد لابن القيم رجمه الله تعالى، عنوان هذه الحكمة: أنواع الجمال، وكما تعلمون أن الجمال جانب أساسي في حياة الإنسان، يزيد عند بعض الأشخاص، ويقل عند بعضهم الآخر، لكنه مطلب ثابت في حياة الإنسان، وإذا قلت: الجمال، أقصد به مطلق الجمال، الجمال في البيت، وفي الثياب، وفيما سوى ذلك.

### جمال المذموم

### جمال الصورة

الله عز وجل ذم جمال الصورة، وتمام القامة والخلقة، فقال عن المنافقين:

(وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ ثَعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ)

[سورة المنافقون: الآية ٤]

قد تجد إنساناً يعتني بجسمه وبثيابه، وبأثاث بيته، وبحديقته عناء تفوق حد الخيال، لكنه لا يعتني بقلبه، بل هو لؤم على خبث، على خديعة، على احتيال، على كبير، على عجرفة، على غطرسة، فجمال الصورة، بل المبالغة في العناية بجمال الجسم وأناقة الثياب وفخامة المنزل من دون قيم أخلاقية، ومن دون تعبد لله عز وجل هذا الجمال وحده من دون مضمون مذموم عند الله:

(وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ ثَعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ)

[سورة المنافقون: الآية ٤]

### جمال القول

ويوجد جمال القول:

(وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ)

[سورة المنافقون: الآية ٤]

كلام فصيح مزخرف مزين

وقد قال الله عز وجل :

(وَكُمْ أَهْلُكُنَا قَبْلُهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثًا وَرَثِيًّا)

[سورة مريم: الآية ٧٤]

أي: منظر بيوتهم، وحدائقهم، وهياكلهم، وأجسامهم، وثيابهم، ومركباتهم شيء جميل جداً، وهذا الآن في العالم بلغ درجة تفوق حد الخيال، جمال البيوت، وجمال المركبات، ولاسيما الأثرياء، أي كانوا على أموال، وعلى هيئة حسنة.

في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَظِرُ إِلَى صُورَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَلَكُنْ يَنْتَظِرُ إِلَى قُلُوبَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ ))

الآن يوجد قصور ثمنها بالمليارات، من يشتريها؟ تجار المخدرات، لأنها أعلى تجارة في الأرض.

## عاقبة الجمال المذموم

إن العناية الفائقة والترف والزينة قال الله عنها:

(حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ)

[سورة يونس: الآية ٢٤]

إن في أعماقهم كفراً، وفي أعماقهم شرگاً، وفي أعماقهم استعلاء، أما في ظواهرهم فأناقة ما بعدها أناقة، وجمال ما بعده جمال، وفخامة ما بعدها فخامة:

(حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَمْرَنَا لَيْلًا وَنَهَارًا  
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَعْنَ بِالْأَمْسِ)

[سورة يونس: الآية ٢٤]

أجمل مدينة في أمريكا مدينة سان فرانسيسكو، البيت في أي مكان ثمنه ستة مئة ألف دولار، أما في هذه المدينة فثمنه خمسة ملايين، خمسة وسبعين بالمئة من سكان هذه المدينة شاذون، فالآن عندنا ظاهرة جمال يفوق حد الخيال، وخشبة، ولؤم، وخشنة، وانحراف، وتحلل يفوق حد الخيال، هذا الجمال المذموم الذي توعد الله صاحبه بالهلاك والتدمر.

(وَكُمْ أَهْلُكُنَا قَبْلُهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثًا وَرَثِيًّا)

[سورة مريم: الآية ٧٤]

والله أيها الإخوة الكرام، كتعليق على ما يجري في العالم من جرائم، ومن قتل، والله أتمنى أن أرى خيمة متواضعة فيها إنسان صادق، لأن الكذب أصبح دين البشر، يتكلم بخلاف الواقع، يقتل، ويقتصر، ويسلب، ويقول لك: جئت من أجل حرثتك، الكلام يعاكس الواقع

إذاً كما قال عليه الصلاة و السلام:

(( إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ ))

رب بيت متواضع جداً فيه إنسان يرحم الناس، ولا يكذب، هذا البيت على تواضعه، وعلى خشونته، وعلى بعده عن مركز المدينة، وكيف أن الشمس قد لا تزوره أبداً، قد يكون تحت الأرض، و الذي يسكنه مؤمن مستقيم، هذا المنظر الذي لا يرضي العين، ولكنه يرضي الرب، وذاك القصر المنيف يسكنه تاجر مخدرات، طبعاً الآن من الأعمال المرباحة في العالم تجارة الرقيق الأبيض، والدعارة، دخلها بالمليارات، فنحن لسنا مع هذا الجمال، ونوعذ بالله من هذا الجمال، ينبغي أن نحتقره، ينبغي أن نركله بأقدامنا، هذا جمال المال الحرام، هذا جمال المال الذي جمع على حساب صحة البشر، وعلى حساب شباب الأمة،

(( إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ ))

أيها الإخوة الكرام، آية أخرى، قال تعالى:

(وَلَا تَمْدَنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ)

[سورة طه: الآية ١٣١]

أنت إذا رأيت بيتك جميلاً، أو مركبة فارهة جداً ادع بدعاء النبي عليه الصلاة و السلام:

(( اللَّهُمَّ لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ ))

[متفق عليه عن أنس]

كان سيدنا عمر بن عبد العزيز إذا دخل مكان عمله يتلو هذه الآية:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)

[سورة الشعراء]

(وَلَا تَمْدَنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ)

[سورة طه: الآية ١٣١]

ورد في بعض الأحاديث عن أبي أمامة قال: ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عيدهُ الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(( أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ إِنَّ الْبَدَاذَةَ مِنْ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبَدَاذَةَ مِنْ الْإِيمَانِ، يَعْنِي التَّقْحُلُ ))

[أبو داود، ابن ماجه]

ثياب العمل: أحياناً قد تجد مؤمناً ثياب عمله ثياب خشنة جداً، لكنه مساء يغسل، ويتجمل، لكن هذا الذي يعمل عملاً شريفاً، فيه جهد كبير، ولهذا العمل ثياب متواضعة هذا قلامرة ظفره أفضل عند الله من أي إنسان جمع المال الحرام، وتألق في ثيابه، وتألق في مسكنه.

أيها الإخوة الكرام، من هذه المقدمة نخلص إلى أن الجمال في الصورة، وفي اللباس، وفي الهيئة، وفي المسكن، وفي الأثاث، وفي المركبة أنواع.

أرسل سيدنا عمر كتاباً إلى بعض الولاة، قال فيه: " أما بعد ؛ فقد ظمئي إلي أنه قد صار لك هيئة حسنة في مسكنك ومطعمك، ومشربك وملبسك، ومركبك، ليست لعامة المسلمين، فاحذر يا عبد الله أن تكون كالدابة مرت بواحد خصب فجعلت همها في السمن، وفي السمن حتفها ".

## أنواع مظاهر الجمال

لذلك الجمال في الصورة واللباس، والهيئة والبيت، والأثاث والمركبة على ثلاثة أنواع، منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم.

## المحمود

فالمحمود منه ما كان لله، أنت مؤمن، وحولك أناس متشكرون في الدين، فإذا ظهرت بمظهر سيء، بثياب رثة، بهيئة ليست مرضية، ببيت فيه فوضى، ليس نظيفاً، بمحل تجاري لا تحسد عليه، بمركبة ممتلئة بالقاذورات، كيف يحترمك ؟ كيف يحترم دينك ؟ فأنت حينما تتنظر، وتتجمل، وتتألق، ويكون لك هيئة حسنة، هذه الهيئة تعين على إكبار الناس لك، ولدينك، وما لم تكن متجملاً متألقاً منظماً لا يحترم دينك لذلك كان عليه الصلاة والسلام له ثياب خاصة يرتدتها إذا لقي الوفود، وقال:

(( إنَّمَا قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَاصْلِحُوهُ رِحَالَكُمْ، وَاصْلِحُوهُ لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَائِنُوكُمْ شَامَةً فِي النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ، وَلَا التَّفْحُشَ ))

[أبو داود وأحمد عن أبي الدرداء]

الإنسان أحياناً يتأنق، ويتجمل، ويعتني ببيته، يعني بعرفة الضيوف، يعني بمركبه حتى إذا نظر إليه إنسان لا يزدريه، ولا سيما في عصر الأنافة التي بلغت حدتها الأعلى، أنا لا أدعو إلى الإسراف، بل أدعو إلى الحد الأدنى من التجمل، الحد الأدنى من النظافة، الحد الأدنى من الانسجام. قد يعمل الإنسان في الحقل الديني مثلاً، ويركب الدراجة بحذاء من دون جوارب، من دون شريط، هذا منظر غير مقبول، كيف يقنع هذا الإنسان الناس ؟ لا يقنعهم، يقعهم بحد أدنى من التجمل، من الثياب الحسنة، من النظافة، من الأنفة أحياناً، فهذا النوع محمود، لأن الله، ويعين على طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والاستجابة له، الناس يستجيبون لإنسان حسن الصورة، في التعليم أحياناً أستاذ الديانة أنيق جداً، منظم، واضح، مواعيده صحيحة، ينزع إعجاب الطلاب، أما التاجر الدائم، والثياب غير أنيقة، والألوان غير مناسبة، والموقف غير سليم يكون قد أساء لدعوته بهذه الطريقة،

فكان عليه الصلاة والسلام يتجمل للوفود، وهو نظير لباس الله الحرب، ولباس الحرير في الحرب،  
قال لأحد أصحابه: يا فلان، إن هذه المشيبة يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن.  
فالتجمل والأناقة، والعناية بالملائكة، وأنت تمثل هذا الدين هذا شيء جيد جداً، هذا الشيء قد يؤدي  
إلى إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وإغاظة عدوه.

المذموم

ما كان للدنيا، لقد كان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم:  
**(إنَّ قارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَى فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكَوْزَ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَثْوِيْءَ بِالْعَصْبَةِ أُولَئِكَ الْفُوْءَةُ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَقْرَرْحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرَحِينَ (٧٦) وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)**

[ سورة القصص ]

ثم يقول الله عز وجل:

## (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمٍ فِي زِيَّتَهُ)

[سورة القصص: الآية ٧٩]

هذا موضوع ثان، هنا موضوع استعلاء وتباهٍ، و كسر قلب الفقير، انظر إلى، انظر إلى مالي، انظر إلى ثيابي، انظر إلى مركتي، هذا مطلب موجود عند بعض الناس، همه أن يستعلي عليك، تدخل بيته يريك كل أرجاء البيت، انظر إلى هذا الأثاث استورده من إيطاليا، انظر إلى هذه اللوحة كلفتني مئة ألف ليرة، انظر إلى.... يريد أن يستعلي، والمذموم ما كان للدنيا وللفرح، وللخيال، والتسلل والشهوات، وأن يكون هو غاية العدل، وأقصى مطلبـه، لا يوجد له هدف آخر إلا التمتع في الدنيا، التأنق والتلمع والانغماس في الملاذات المحرمة، طبعاً يتولى بهذه الزينة إلى أن ينتزع إعجاب الفتيات أحياناً، وكم من إنسان قد يكون طالباً في الجامعة يبالغ في أناقتـه لهـدف واحد، أن ينتزع إعجاب الفتيات من حولـه، مثل هذه النية السيئة هذه أناقة يبعضها الله ورسولـه، فإنـ كثيراً من النفوس ليس لها همة فيـ سوى ذلك، هذا هو المذموم، والمـ محمود ما كان للـله، ولا علاءـ كلمة الله،

لَا يَذْمُمُ وَلَا يَمْدُحُ

وما سوى ذلك لا يذم، ولا يمدح، اشتريت حاجة هي أنيقة، اشتريت حاجة بسعر رخيص، لكنها غير أنيقة، لأن دخلك محدود، فلا هذا الجمال محمود، ولا ذاك مذموم، هذه قضية حيادية لا تمس لا محمود ولا المذموم.

## يجب أن نعبد الله بالجمال

المقصود من هذا الموضوع أنه يشتمل على أصلين عظيمين، أوله: معرفة، وآخره سلوك، يُعرف الله عز وجل بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء.

الله عز وجل جميل، الله عز وجل نظيف يجب النظافة، الله عز وجل طيب، لا يقبل إلا طيباً، يوجد جمال، الذات الكاملة جمالها مطلق.

الآن ينبغي أن نعبده بالجمال

## المظاهر

ينبغي أن نعبده بالنظافة، لا يوجد رائحة فم كريهة، لا يوجد رائحة جسم كريهة، لا يوجد رائحة جوارب كريهة، يجب أن تعبده بالنظافة، لأنه نظيف، يجب أن تعبده بالطيب لأنه طيب، قدم طعاماً طيباً، ولا تقدم طعاماً تكرهه، قدم شيئاً نفيساً، الفكرة الدقيقة الآن كما أن الله جميل ينبغي أن تعبده بالجمال.

الجمال واسع جداً، هناك جمال الأقوال، تجد إنساناً أنيقاً يمزح مزاحاً فاحشاً:

**جمال الجسم مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجروس**

هو أنيق لكن بدئيء.

ثمة إنسان كان يرتدي ثياباً أنيقة جداً، وتكلم كلاماً بدئياً جداً، فقال له أحدهم: إما أن تقول قوله ثيابك، أو أن ترتدي ثياباً كلامك، أي هذه الأناقة والجمال لا تناسب مع بذاعة اللسان، فإذاً أن ترتدي ثياباً من نوع بذاعة لسانك، أو تتكلم كلاماً من نوع جمال ثيابك، فالله عز وجل ينبغي أن نعبده بالجمال، بجمال المظاهر، والنظافة، هذا الجمال في الأقوال.

## الأفعال

والجمال في الأفعال: إذا أعطيت إنساناً عطاء ينبغي إلا تمن عليه.

## الأخلاق

فالله عز وجل يجب من عبده أن يحمل لسانه بالصدق، فاللسان جماله بالصدق، وقلبه بالإخلاص، جمال القلب بالإخلاص، ومحبة، والإنابة، والتوكّل، جمال العين غض بصرها عن محارم الله، جمال الأذن إلا تستمع إلى الخنا والغناء، وما شاكل ذلك، وجمال البدن بإظهار نعمة الله عليك في اللباس، والتطهير من الأنجاس والأحداث، والأوساخ و الشعور المكرورة، والختان وتقليم

الأظافر، فيعرفه الناس بصفات الجمال، ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة. أيها الإخوة الكرام، أدق فكرة في هذا الدرس أن الله جميل، وينبغي أن تعبده بالجمال، بجمال القول، وجمال الفعل، وجمال الثياب، والنظافة، والأدب، والأفعال المحمودة، والجمال مطلق، يوجد حركة جميلة، أحياناً تجلس فتضع رجلا فوق رجل باستعلاء، هذه جلسة غير جميلة، أما الجلسة الأدبية فهي جلسة جميلة.

أحياناً تقود مركتك بجلسة فيها كبر جنبي، اجلس جلسة هادئة، يوجد جلسة جميلة، يوجد كلام جميل، يوجد حركة جميلة، أحياناً يوجد مشي فيه استعلاء، كبر، فلذلك أيها الإخوة الكرام، الله جميل يحب الجمال، وينبغي أن تعبده بالجمال، جمال الأقوال والأفعال، والصفات والمظهر،

### المقصود بجمال المظهر

وإذا قلت: جمال المظاهر فلا أقصد الشيء الذي يكلف أموالاً طائلة، قد تكون من أقل الناس دخلاً، ومن أجمل الناس ثياباً، ثياب نظيفة، ألوانها منسجمة فقط، قد تكون من أقل الناس دخلاً، ومن أجمل الناس ثياباً، أنا لا أقصد أبداً بالجمال المكلف، هذا شيء لا علاقة له بدرستنا، لكن بإمكانك أن ترتب بيتك، أن ترتب مكتبك، أن ترتب عيادتك، أن ترتب دكانك، أن تصلح من شأنك، قال عليه الصلاة و السلام:

### (( أصلحوا دنياكم، و اعملوا لآخركم ))

[الجامع الصغير عن أنس بسند ضعيف]

أحياناً تُزيل المدفأة فتبقي الأشرطة معلقة طوال العام، وهذا منظر مزعج جداً، أو باب له صوت مزعج ضع له قطرة زيت يذهب الصوت، دائماً أشياء تالفت غير منضبطة، غير متقدمة، فحياة المسلم إذا لم يوجد بها جمال ينفر الطفل من البيت، إذا كان في البيت جمال يجذب الأبناء للبيت، فإذا أهمل شخص بيته، أهمل مظهره ينفر الناس من حوله، الجمال مطلب أساسى في الحياة، والمؤمن يستخدم الجمال لله، ولإعلاء كلمة الله، ولكف الألسنة عن أن يُنال بذم قبيح.

**والحمد لله رب العالمين**